مجلة البحث العلمي الإسلامي

Journal of Islamic Scientific Research

(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

المجلد 23 – العدد 80 – أبريل 2026

Volume 23 – issue 80 – April 2026

Pages 71 - 97 الصفحات 71 - 97

الحوار في القرآن الكريم

Dialogue in the Holy Qur'an

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8003

مرتضى يحيى عبد الغني

Mortada Yahya Abdelghani

باحث في التربية والحضارات في مرحلة الدّكتوراه بكليّة الدّعوة الجامعيّة

PhD Researcher in Education and Civilizational Studies, Faculty of Da'wah, University College

Email: Sh_mortadha@yahoo.com

Date of Receipt - 2026/01/18 – تاريخ الاستلام

Date of Acceptance - 2026/02/01 – تاريخ القبول

مرتضى يحيى عبد الغني
باحث في التربية والحضارات في مرحلة الدّكتوراه بكليّة الدّعوة الجامعيّة

Mortada Yahya Abdelghani
Researcher in Education and Civilizations

Sh_mortadha@yahoo.com

الحوار في القرآن الكريم

Dialogue in the Holy Qur'an

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8003

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٦/١/١٨ / تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٢/١

ملخّص البحث:

تناول البحث موضوع الحوار في القرآن الكريم، فجرى تعريف معنى الحوار لغةً واصطلاحًا وفوائـده، ثمّ أورد حـوارات عدّةً أوردها الله تعالى في كتابه الحكيـم، تنبيهًا لنا إلى أهمية الحوار في حياتنا، وهذه الحوارات هي: حوار الله تعالى مع الملائكة، ومع الأنبياء عليهم السـلام، وحوار الأنبياء عليهم السّـلام مع بعضهم البعض، وحوارهم عليهم السّلام مع أقوامهم وأسرهم، وحوار المؤمنين مع المشركين في الدّنيا ويوم القيامة، وحوار النّاس مع أعضائهم. وتأتي أهميّة الموضوع في استغلال الوقت، وتحيُّن الفرص في تبليغ الدّعوة من خلال حوارٍ هادفٍ وبنّاء، يؤدّي إلى إقناع راسخ، وهو وسيلة من الوسائل الرّبانيّة الدّعويّة. أمّا الهدف منه فهو إبراز القيم الدّينيّة والإنسانيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة والتربويّة بجميع أشـكالها. وقد اسـتخدم البحـث المنهج التكاملي الكلي التحليلي.

وقـد ختم البحث بنتائج عـدّة، منها: أنّ الحوار هو نوع من الحديث بين شخصـين أو أكثر، اهتمّ به القرآن الكريم اهتمامًا بالغ الأهميّة، وحرص على استخلاصه من الشّوائب، بهدف إحقاق الحقّ وإقامة البراهين والحجج الدّالة على الإيمان.

الكلمات المفتاحية:

الحوار، القرآن الكريم، الأنبياء.

Abstract

This study explores the theme of dialogue in the Holy Qur'an. It commences with a definition of dialogue in both its linguistic and terminological dimensions, together with an examination of its benefits. The research then presents a number of dialogues recorded in the Divine Scripture, intended as reminders of the significance of dialogue in human life. These include the dialogue between Allah, Exalted be He, and the angels; His dialogues with the prophets (peace be upon them); the dialogues exchanged among the prophets themselves; their conversations with their peoples and families; the exchanges between believers and disbelievers in this world and on the Day of Resurrection; and finally, the dialogue of human beings with their own limbs.

The importance of the topic lies in the effective employment of time and the seizing of opportunities for the conveyance of the divine message through purposeful and constructive dialogue-dialogue that fosters firm conviction and serves as one of the God-given methods of da'wah. The aim, moreover, is to shed light on religious, human, social, moral, and educational values in their various manifestations. Methodologically, the study adopts a holistic, integrative, and analytical approach.

The research concludes with several findings, chief among them that dialogue constitutes a form of discourse between two or more interlocutors to which the Qur'an accords the utmost significance. The Qur'an purifies dialogue from impurities with the objective of establishing truth and presenting evidence and argumentation that affirm faith.

Keywords:

Dialogue, Holy Qur'an, Prophets.

مقدّمة:

الحوار سبيل الإقناع، ومفتاح القلوب، وأسلوب التّواصل والتّفاهم، ووسيلة التّعارف والتّآلف، وسَنَنُ الأنبياء عليهم السّلام، مع أقوامهم لإقامة الحجج ودفع الشُبه.

ويُعدّ الحوار وسيلة التّواصل بين الأجناس البشريّة؛ فهو طريقة التّعبير عن الإرادة وعن مكنونات الذّات بكلّ خواصها، كيف كانت، وأين صارت، وما تطمح للوصول إليه.

وقد استعمل القرآن الكريم أسلوب الحوار في إقامة الأدلّة على وحدانيّة الله تعالى، وعلى صدق الرّسل الكرام عليهم السّلام فيما يبلّغون عن ربّهم عزّ وجلّ، ومن أجل الوصول إلى الحقّ عن اقتناع عقليّ، وارتياح نفسيّ، يجعل صاحبه يعيش حياته وهو ثابت على ما آمن به ثباتًا لا

ينازعه ريب، ولا يخالطه شكّ.

من هذا المنطلق، اخترت أن يكون موضوع بحثي: «الحوار في القرآن الكريم»، لأعرّف فيه بدايةً الحوار وأهميّته، ومن ثمّ أورد حوار الله تعالى مع الملائكة الكرام، ومع الأنبياء عليهم السّلام، وحوار الأنبياء عليهم السّلام مع بعضهم البعض، وحوارهم عليهم السلام مع أقوامهم وأسرهم، وحوار المؤمنين مع المشركين في الدّنيا ويوم القيامة، وأخيرًا، حوار النّاس مع أعضائهم، سائلًا المولى عزّ وجلّ التّوفيق.

أهميّة البحث وسبب اختياره:

تأتي أهميّة البحث وسبب اختيار الموضوع، فيما يلي:

- استغلال الوقت، وتحيُّن الفرص في تبليغ الدّعوة من خلال حوار هادف وبنّاء، يؤدّي إلى إقناع راسخ.
- إبراز أسلوب الحوار بشكلٍ لافت؛ بحيث يتمّ توظيفه في كثير من المناسبات والمواقف التي تواجه الدّعاة.
- التّأكيد على أنّ الاختلاف في الرّأي لا يُفسد للودّ قضية.
- أهميّة الحوار باعتباره وسيلة من أهمّ وسائل الدّعوة إلى الله تعالى، يمكن أن يُحقّق فوائد جمّة، إذا امتلك الدّاعية أدواته وهو يحاور الآخرين.
- الوصول إلى قواعد أساسيّة منهجيّة، يُرجى أن تكون عونًا جميلًا لكلّ داعية.

إشكاليّة البحث وأسئلته:

تنطلق إشكاليّة البحث من التّساؤل حول الكيفيّة التي عالج بها القرآن الكريم أسلوب الحوار، وما الأبعاد الدّلاليّة والتّربويّة والدّعويّة التي تضمّنها هذا الأسلوب في مختلف السّياقات القرآنيّة. ويسعى البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما أبرز أنماط الحوار القرآنيّ وصوره؟

٢. كيف أسهم الحوار القرآنيّ في ترسيخ العقيدة وبناء القيم الأخلاقيّة والتّربويّة؟

٣. ما الدّروس الدّعويّة والتّربويّة المستفادة من نماذج الحوار في القرآن الكريم؟

أهداف البحث:

للبحث أهداف مهمّة عديدة، منها:

- إبراز القيم الدينيّة والإنسانيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة والتربويّة من خلال الحوارات القرآنيّة، بجميع أشكالها.
- تقديم نماذج قرآنيّة من أجل الاقتداء بها في التطبيق السّليم للحوار، والتّخلّق بالقيم

الحواريّة.

الدّراسات السّابقة:

١- يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي: آداب الحوار في ضوء الكتاب والسُّنّة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، جامعة أمّ القرى، المملكة العربية السّعودية، ١٤١٣هـ.

تناولت الدّراسة موضوع الحوار من ناحية تأصيل آدابه تأصيلًا علميًّا شرعيًّا مبنيًّا على نصوص الكتاب والسُّنّة مباشرة، فجمعت نماذج عن الحوار في القرآن الكريم وما صحّ في الكتب السّتّة والتي بلغت أكثر من مائتين وأربعين نموذجًا، ثمّ استنبطت الآداب المتعلقة بموضوع الرّسالة.

وقد هدفت الدّراسة الى التّعريف بآداب الحوار، مستخدمة المنهج الاستقرائي الاستنباطي. وخلصت إلى كمال هذا الدّين وعظمته في جميع جوانبه، وإلى أنّ القرآن الكريم وكتب الأحاديث احتوت على نصوص، تهدي إلى أقوم الطّريق، وأهدى السّبل، وأفضل المناهج في الحوار وآدابه.

ويختلف هذا البحث عن هذه الدّراسة في أنّها تناولت الحوار من زاوية الآداب النّفسيّة والعلميّة واللّفظيّة، في حين ركّز هذا البحث على الحوار القرآنيّ من النّاحية القصصيّة التّحليليّة.

٢- هالا سعيد محمد مقبل: الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم (دراسة دلاليّة بيانيّة)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كليّة الآداب والعلم، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الشّرق الأوسط، بيروت، ٢٠١٠-٢٠١١م.

تناولت الدّراسة توضيح آيات الحوار في مشاهد القيامة من النّاحيتين: الدّلاليّة والبيانية، وتحليل المشهد القرآني بجزئياته وكلياته، وربط الحوار بالسّياق الذي ورد فيه، وتوضيح الدّلالات الدقيقة للألفاظ، وبيان أوجه التّشابه والاختلاف في الجملة الحوارية، وما فيها من تقديم وتأخير وحذف.

وقد هدفت الدّراسة إلى استجلاء عناصر الحوار وأنواعه ومضامينه في القرآن الكريم، والاستشهاد بمجموعة من الآيات التي تعتمد هذا الأسلوب بأنواعه المختلفة، وإبراز الناحية الفنية في لغة الحوار القرآني. مستخدمة المنهج الوصفي (تحليل المحتوى).

وتختلف هذه الدّراسة عن بحثنا الحالي في أنّها تناولت الحوار من الناحية الدلالية والبيانية، في حين أنّ بحثنا قصصيّ قرآنيّ.

٣- نادية قانة، ونبيلة قعمير: أساليب الحوار في القرآن الكريم (سورة طه أنموذجًا)، رسالة ليسانس (غير منشورة)، كلية الآداب واللّغات، قسم اللّغة والأدب العربي، جامعة أكلي محند أولحاج، الجزائر، ٢٠١٣-٢٠١٤م.

تناولت الدّراسة أساليب الحوار في القرآن الكريم (سورة طه أنموذجًا)، فتطرقت إلى ماهيته وأنواعه ودوره ومفهومه القصصي وأشكاله وصوره وأساليبه وأهدافه. وهدفت من خلالها هذه الدّراسة إلى محاولة التّعمّق في الحوار القرآني باعتباره أحد العناصر المهمّة في القصص القرآنيّ.

وخلصت الدّراسة إلى أنّ الحوار شغل مساحة كبيرة من كتاب الله تعالى، وأنّه من أهمّ الوسائل التي اتخذها القرآن للدّعوة إلى دين الحقّ تعالى ورسله الكرام.

كما تختلف هذه الدّراسة عن بحثنا الحالي في أنّها اتّخذت سورة طه نموذجًا تطبيقيًّا، واعتمدت المنهج اللّغويّ التّحليليّ، في حين يتناول بحثنا الحوار القرآنيّ تناولًا شموليًّا في مختلف السّور.

منهج البحث:

اقتضى موضوع البحث استعمال المنهج التكاملي الكلي التحليلي، الذي يعتمد على النظرة الكليّة للنّصّ القرآني، وتحليله في ضوء المقام الذي سيقت له الآيات القرآنيّة[1].

إجراءات البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث على جمع الآيات القرآنيّة التي ورد فيها الحوار، ثمّ تصنيفها وفق أطراف الحوار وسياقه، وتحليلها تحليلًا موضوعيًّا وتربويًّا، مع الرّجوع إلى كتب التّفسير المعتمدة، واستخلاص الدّلالات القيميّة والدّعويّة والتّربويّة الكامنة فيها.

خطّة البحث:

مقدّمة.

أهميّة البحث وسبب اختياره.

أهداف البحث.

الدّراسات السّابقة.

منهج البحث.

خطّة البحث.

المبحث الأوّل: تعريف الحوار وفوائده

١- تعريف الحوار لغةً.

٢- الحوار اصطلاحًا.

(١) انظر: الطرابيشي، جورج، معجم مصطلحات النقد الحديث، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٩٧، ص ٤٢.

٣- أهميّة الحوار.

المبحث الثّاني: حوار الله تعالى مع الملائكة الكرام ومع إبليس اللّعين

المطلب الأوّل: حوار الله تعالى مع الملائكة الكرام.

المطلب الثّاني: حوار الله تعالى مع إبليس اللّعين.

المبحث الثّالث: حوار الله تعالى مع الأنبياء عليهم السّلام

المطلب الأوّل: حوار الله تعالى مع نبيه إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثّاني: حوار الله تعالى مع نبيه موسى عليه السلام.

المبحث الرّابع: حوار الأنبياء مع بعضهم

المبحث الخامس: حوار الأنبياء مع أقوامهم وأسرهم

المطلب الأوّل: حوار بين نوح عليه السلام وقومه.

المطلب الثّاني: حوار بين هود عليه السلام وقومه.

المطلب الثّالث: حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه.

المطلب الرّابع: حوار شُعيب عليه السلام مع قومه.

المبحث السّادس: حوار المؤمنين مع المشركين في الدنيا ويوم القيامة

المطلب الأوّل: حوار صاحب الجنّتين في سورة الكهف (حوار مؤمن مع مشرك في الدّنيا).

المطلب الثّاني: حوار السّادة والأتباع الذين أضلّوهم (يوم القيامة).

أوّلًا: الحوار بين الأتباع والمتبوعين.

ثانيًا: حوار وتخاصم أهل النّار.

ثالثًا: حوار بين الضّعفاء والمستكبرين.

رابعًا: حوار الخير والشّر في قتل النفس.

المبحث السّابع: حوار النّاس مع أعضائهم

الخاتمة.

المبحث الأوّل: تعريف الحوار وفوائده

١. تعريف الحوار لغةً:

جاء معنى الحوار في مقاييس اللّغة لابن فارس (ت. ٣٩٥هـ.): «الحور مصدر حار حورًا أي رجع»[١].

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت. ٧١١هـ.): «الحوار من الحور: الرّجوع عن الشّيء وإلى الشّيء، حار إلى الشّيء وعنه حورًا ومحارًا ومحاورة وحؤورًا، رجع عنه وإليه: قال الجوهري: حار يحور حورًا وحؤورًا رجع، ويُقال حار بعد ما كار، معناه من النقصان بعد الزّيادة، وقيل من فساد أمورنا بعد صلاحها، والمحار: المرجع، والمحارة: المكان الذي يحور أي يحار فيه، والباطل في حور أي في نقص ورجوع، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، والمَحُورة: من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة، والحوار: الرّجوع»[٢]. ويُقال: «حار، يحور، حورًا وحؤورًا: رجع، منه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق، ١٤]، أي يرجع إلى ربّه.

و«أحار عليه جوابه: ردّه. وأحرت له جوابًا وما أحار بكلمة، والاسم من المحاورة، الحوير، تقول: سمع حويرهما حوارهما»[٣].

إذًا، فالحوار هو تراجع الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة والردّ، وقد ورد الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواقع فقط، وهي: قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف، ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف، ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة، ١].

يظهر من هذه المواضع الثّلاثة، أنّ الحوار فيها هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، والأخذ والردّ فيه؛ حيث فسّر الطّبري (ت. ٣١٠هـ.) قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ في الآيتين، بقوله: «وهو يخاطبه ويكلّمه»[٤]، وفسّر الزّمخشري قوله تعالى: ﴿يُحَاوِرُهُ﴾، أي «يراجعه الكلام

---

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٨٩ه/١٩٦٩م، ص ٢٦٩.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ه، ج٤، ص ٢٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢١٨.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م، ج ١٥، ص ٢٤٦-٢٤٧.

مـن حـار يحور إذا رجع، وسـألته فما أحـار كلمة»[1]، وكذلك فسّـر الطبري قوله تعالـى: ﴿وَاللَّهُ يَسْـمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَـمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، فقال: «إنّ الله سـميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه»[2]، وقال الزمخشـري في قولـه: ﴿تُجَادِلُكَ﴾: «قُرئ تحـاورك: أي تراجعك الـكلام، وتجادلك: أي تسائلك»[3].

فتبيّن من ذلك أنّ الحوار في القرآن أُطلق على تراجع الكلام والمخاطبة والمجاوبة فيه.

٢. الحوار اصطلاحًا:

الحوار «نوع من الحديث بين شخصين، يتمّ فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصّب»[4].

وهو «كلّ نداء أو خطاب أو سـؤال يوجّهه القرآن ويوجّهه النّبيّ ﷺ إلى أصـحابه المسـلمين بقصد توجيههم إلى أمر ما، ولتحقيق هدف معيّن»[5].

بعد أن تبيّن لنا معنى الحوار لغةً واصطلاحًا، نأتي إلى تبيان فوائده.

٣. أهميّة الحوار:

تكمن أهميّة الحوار من خلال الحاجة إليه وضـرورة اسـتعماله، فإذا كان المسلم يسعى إلى نشـر دعوته من خلال وسـائل وطرق، فإنّ وسـيلته الأولى المتقدّمة على غيرها، هي وسيلة الكلمة والحوار، ذلك أنّ الكلمة رسالة وأمانة، رسالة يجب أن تُقال وتُؤدّى، وأمانة يجب أن يُراعى فيها كلّ ما من شأنه أن يفي بوصولها، فالكلمة الطّيبة سلاح المؤمن في أداء رسالته النّبيلة.

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، لا ط، ١٩٩٨، ج ٢، ص ٤٨٤.

(٢) الطبري، تفسير الطبري، ج ٦، ص ٢٨.

(٣) الزمخشري، الكشّاف، ج ٤، ص ٦٩.

(٤) يماس محمد راشد، فنون الحوار والإقناع، دار بن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ./١٩٩٩م، ص ٢١٢.

(٥) ابن عبده، فيصل، فنّ الحوار أصوله وآدابه، صفات المحاور، دار الإيمان للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط ١، لا ت، ص ١٤.

المبحث الثّاني: حوار الله تعالى مع الملائكة الكرام ومع إبليس اللّعين

المطلب الأوّل: حوار الله تعالى مع الملائكة الكرام

إنّ «أوّل من بدأ الحوار في إطار القرآن الكريم هم الملائكة عليهم السلام، وبدأ هذا الحوار عندما أخبر الحقّ سبحانه وتعالى ملائكته أنّه سيجعل في الأرض خليفة»[1]، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة، ٣٠-٣٣].

وورد حوار آخر مع الله تعالى ومع ملائكته الكرام يتعلق بما جاء من سؤاله سبحانه عن قضية الشّرك يوم القيامة، فهو «مُوجَّه إلى الملائكة عن عبادة المشركين إيّاهم، فيسألهم توبيخًا وتقريعًا للمشركين، أمّا الملائكة فيعلم الله تعالى أنّهم منزّهون عمّا وُجِّه إليهم من السّؤال»[2]، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ، ٤٠]، والمقصود منه «توبيخ المشركين الذين عبدوهم، واتخذوهم أولياء من دون الله سبحانه»[2]، ثمّ تبدأ الملائكة إجابتها بتنزيه الله تعالى وتعظيمه، وإعلان موالاتهم له سبحانه دون المشركين، وعدم الرّضا عن عبادتهم لهم: قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ، ٤١]، لينتهي المشهد الحواريّ القرآنيّ بإعلان من الله تعالى أنّ الأمر كلّه بيده وحده سبحانه، وأنّ الملائكة لا تملك نفعًا ولا شفاعة، كما لا تملك دفعًا للضّرّ أو العذاب، وأنّ المشركين يستحقون العذاب الشّديد بما ظلموا أنفسهم، بشركهم وانحرافهم عن طريق الحقّ، واتباعهم غواية الشياطين، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ، ٤٢].

المطلب الثّاني: حوار الله تعالى مع إبليس اللّعين

يُعتبر هذا النّموذج الحواري في القرآن الكريم «درسًا علميًّا، وفلسفة مهمّة في الحوار،

---

(١) الصقهان، عبد الله عمر والشويعر، محمد بن عبد الله، قواعد ومبادئ الحوار الفعّال، مراجعة وتقديم د. فهد بن سلطان السلطان، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، المملكة العربية السّعودية، لا ت، لا ط، ص ٦١.

(٢) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العملية، بيروت، لا ط، ١٩٩٣م، ج ٦، ص ٤٤٧؛ الزمخشري، الكشّاف، ج ٤، ص ٣٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٤٧.

فالله تعالى الحقّ المطلق والخير المطلق، يحاور الله تعالى إبليس، رأس الشّـرّ وداعيته، وفي هذا الحـوار درسٌ بليغ في إرسـاء مبدأ الحوار، حتى مع أشـدّ الخصـوم، من غيـر أنْ يُفهم من ذلك نسـبة الشّـرّ اسـتقلالًا لغير الله تعالى أو نفي الحكمة من خلقه، والذي هو إبليس لعنه الله تعالى، وفـي هذا الحـوار درس مهمّ يبيّن لنـا أنّ إمكانية الحوار قائمة حتى ولو كان هذا الحوار مع أشـدّ الأعـداء وأفظعهم»[1]، قـال تعالـى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف، ١١-١٨].

المبحث الثّالث: حوار الله تعالى مع الأنبياء عليهم السّلام

جـاء حوار الله تعالى مع أنبيائه عليهم السـلام في سـياق الحديث عـن الأمانة والحثّ على أدائها، وعدم إظهار خلاف الإبطان، وأنّ الله تعالى يعلم ما يخفى وما يظهر.

فقبـل أن يبدأ سـبحانه بحواره مع أنبيائـه، أورد آيات عن أمره بالتّقـوى[2]، ثمّ قال تعالى: ﴿يَـوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُـلَ فَيَقُولُ مَـاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَـا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْـتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة، ١٠٩]، ويرى بعض المفسّـرين أنّ الاسـتفهام هنا جاء توبيخًا لأقوامهم، لإقامة الحجّة عليهـم، يقول الزمخشـري (ت. ٥٣٨هـ.): «لـو أراد الجواب لقال بماذا أُجبتم»[3]، ويعلم الرّسـل الكرام أنّ سؤالهم لتوبيخ الكافرين، فتركوا الأمر إلى علمه تعالى، ووكّلوه بالانتقام منهم، وتضمّن جوابهم تفويضًـا للأمر إلى علم الله سـبحانه، والاتكال عليه، وإظهارًا للشكاية منهم، فيكون ذلك أدعى لحسرة الكافرين، وخزيهم.

وبعد هذا الحوار بين الله تعالى وجميع أنبيائه عليهم السلام، نورد حواره سبحانه وتعالى مع نبييه إبراهيم وموسى عليهما السّلام، على سبيل المثال لا الحصر:

المطلب الأوّل: حوار الله تعالى مع نبيه إبراهيم عليه السلام

قـال تعالـى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَـالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِـنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُـنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة، ٢٦٠].

(١) المصدر نفسه، ص ٦٢.

(٢) انظر: سورة المائدة، من الآية ١٠٦ إلى ١٠٨.

(٣) الزمخشري، الكشّاف، ج ٢، ص ٣١٠.

في هذه الآية الكريمة، «سأل إبراهيم عليه السلام ربّه سبحانه، أن يريه كيفية إحياء الموتى، والخليل عليه السلام لم يسأل ذلك شكًّا، أو تعنّتًا، وإنّما سأله ليترقى بذلك من علم اليقين إلى عين اليقين، وأن يرى ذلك مشاهدة بعد أن رآه إيمانًا ويقينًا، فسأله الله تعالى ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾؟ فأجابه بالإيجاب، وبيّن إبراهيم عليه السلام سبب السؤال، وهو: ليزداد سكونًا وطمأنينة»[1].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحنُ أحقُّ بالشَّكِّ من إبراهيمَ إذ قالَ ربِّ أرني كيفَ تُحيي المَوتى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي»[2]، ومعنى الحديث: «لو كان شاكًا لكنّا نحن أحقّ به، ونحن لا نشكّ، فإبراهيم أحرى ألّا يشكّ»[3]، فالحديث مبني على نفي الشكّ عن إبراهيم عليه السلام.

ولقد استجاب الله تعالى لهذا الطلب والتطلع في قلب إبراهيم عليه السلام، ومنحه التجربة الذاتية المباشرة: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾، «لقد أمره أن يختار أربعة من الطير، فيقرّبهنّ منه ويميلهنّ إليه، وأن يذبحهن ويمزق أجسادهن، ويفرّق أجزاءهن على الجبال المحيطة، ثمّ يدعوهنّ، فتجتمع أجزاؤهنّ مرة أخرى، وترتدّ إليهنّ الحياة، ويعدن عليه ساعيات»[4].

﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، أي: «عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع من شيء، وما شاء كان بلا ممانع؛ لأنّه القاهر لكلّ شيء، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه»[5].

المطلب الثّاني: حوار الله تعالى مع نبيه موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦﴾ [طه، ١١-١٦].

«بعدما قضى موسى عليه السلام الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم، سار بأهله قاصدًا بلاد مصر، فضلّ الطّريق، وكانت ليلة شتائية، وكان هناك ضبابٌ وظلامٌ شديدين، فجعل يقدح بزند ليوري نارًا، لكن دون جدوى، فآنس من جانب الطّور نارًا، فقال لأهله امكثوا لقد

(١) حوّى، سعيد، الأساس في التّفسير، دار السّلام، القاهرة، ط ١، ١٤٠٥هـ./١٩٨٥م، ج ١، ص ٦١١.

(٢) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ت، لا ط، كتاب التّفسير، باب: وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى، رقم الحديث ٣٣٧٢، ج ٦، ص ٣٩. وأخرجه مسلم برقم ١٥١.

(٣) القاسمي، محمد جمال الدين، تفسير القاسمي «المسمى محاسن التّأويل»، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٣٨٥هـ./١٩٦٥م، ج ٣، ص ٢٦٠.

(٤) قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشّروق، القاهرة، ط٩، ١٤٠٠هـ./١٩٨٠م، ج ١، ص ٣٠٢.

(٥) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ط ٤، ١٤٠١هـ./١٩٨١م، ج ١، ص ٣١٦.

وجدت نارًا، فلمّا أتاها ناداه الله يا موسى»[1].

«ناداه الله تعالى يا موسى إنّي ربّك وقد اخترتك لرسالتي فاستمع لما يوحى إليك، إنّني الله فاعبدني، إنّ القيامة آتية أكاد أخفيها فلا أذكرها فلا يفتنك عنها من لا يؤمن بها»[2].

«لمّا بيّن الله تعالى لموسى عليه السلام أصل الإيمان، أراد أن يبيّن له ويريه من آياته ما يطمئن به قلبه، فقال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه، ١٧-٢٤]، سأله عمّا بيده مع علمه تعالى، فأخرج الكلام بطريق الاستفهام، فقال موسى عليه السلام: هي عصاي وذكر فيها نوعين من المنفعة، منفعة لجنس آدمي: ﴿أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾، ومنفعة للبهائم: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾، وله فيها مقاصد أخرى مثلما ذكر، فطلب الله تعالى منه أن يلقيها، فلما ألقاها انقلبت إلى ثعبان عظيم، فولّى موسى عليه السلام هاربًا خائفًا، ولم يعقب، فقال الله تعالى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾، أي: ليس عليك من بأس سنعيدها إلى هيئتها الأولى، فامتثل موسى عليه السلام لأمر الله تعالى إيمانًا به وتسليمًا، ثمّ انتقل إلى المعجزة الأخرى، فطلب منه أن يدخل يده إلى جيبه ويضمّ عليها عضده، تخرج بيضاء من غير عيب ولا برص، هذا ليريه من آياته الكبرى وليطمئن قلب موسى به»[3].

بدأ موسى عليه السلام يتحاور مع ربّه حين سأله أن يشرح صدره فيما بعثه به؛ لأنّ الأمر عظيم ومن بعث إليه كان أعظم الملوك على وجه الأرض إذ ذاك؛ حيث ادّعى أنّه لا يعرف الله تعالى ولا يعلم لرعاياه إله غيره، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طـه، ٢٥-٣٥]، أي: «يا ربّ كن لي عونًا فلا طاقة لي بذلك، وأحلل عقدة من لساني لكي يفقهوا قولي (بنو إسرائيل)، لما أصابه من اللّثغ حيث عرضت عليه التمرة الجمرة، فأخذ عليه السلام الجمرة فوضعها في لسانه، فاستجاب الله له وحلّ العقدة من لسانه، ثم سأله موسى عليه السلام أن يعينه بأخيه هارون عليه السلام لكون له ردءًا ومشيرًا، فأتاه الله تعالى سؤله»[4].

ثم قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٣.

(٢) وجدي، محمد فريد، المصحف المفسّر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، لا ط، لا ت، ج ٢، ص ٤٠٧.

(٣) السّعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، دار الرسالة، القاهرة، لا ط، ١٤٢٠هـ./٢٠٠٠م، ص ٣٣٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٥.

إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طـه، ٣٦-٣٩]، إلـى قولـه تعالـى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه، ٤٢-٤٦]، فهذه «إجابة من الله تعالى لرسوله وتذكير له بنعمته السالفة عليه فيما كان ألهم أمّه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه، فشاء قدر الله سبحانه ألّا يربّى موسى عليه السلام إلّا على فراش فرعون»[1].

ثمّ يقول تعالى، «مخاطبًا موسى عليه السلام اذهبا بمعجزاتي وبراهيني ولا تبطئا ولا تضعفا اذهبا إلى من تمرّد وتجهرم على الله وعصاه؛ ولكن بلين وملاطفة لعلّه يرجع عمّا هو فيه من الضلال والهلكة، فخشي موسى وهارون بطش فرعون وأن يعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك، فأجابهما الله تعالى: إنّي معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى عليّ من أمركما شيء، فناصيته بيدي، فلا يتكلم، ولا يتنفس إلّا بإذني، وأنا معكما بحفظي ونصري»[2].

المبحث الرّابع: حوار الأنبياء مع بعضهم

لم يرد في القرآن الكريم حوار مباشر بين نبيٍّ ونبيٍّ آخر في حياتهم الأرضية، باستثناء قصّة موسى عليه السلام مع العبد الصّالح (الخَضِر). فقد قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف، ٦٥-٦٦]، أي: «كان موسى عليه السلام حريصًا على العلم، فسأل أن يكون تابعًا للخضر ليتعلّم من علمه»[3].

كما اجتمع الأنبياء عليهم السّلام بالنّبي محمد ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج؛ حيث صلى بهم إمامًا في بيت المقدس، ثمّ التقى ببعضهم في السّماوات، فدار حوار قصير بينه وبين موسى عليه السلام حين أشار إليه بتخفيف الصّلوات. جاء في صحيح البخاري: «... فرجعتُ إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمسين صلاة كلّ يوم، قال: إن أمّتك لا تستطيع خمسين صلاة...» حتى خفّفها الله إلى خمس صلوات[4].

ويظهر حوار آخر بين الأنبياء عليهم السّلام يوم القيامة فيما عُرف بحديث الشّفاعة العظمى، حيث يعتذر كلّ نبي عن الشّفاعة لعظم الموقف، حتى تصل إلى النبي محمد ﷺ فيقول:

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٢.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ١٩١.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصّلاة، باب كيف فُرضت الصّلاة في الإسراء، رقم الحديث ٣٤٩، ج ١، ص ١٣٥.

«أنا لها»[1].

ومن هنا، يظهر أنّ حوارات الأنبياء عليهم السلام تكشف عن وحدة الهدف وتكامل الرّسالات، كما أشار النّبي ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلّات، أمّهاتهم شتّى ودينهم واحد»[2].

المبحث الخامس: حوار الأنبياء مع أقوامهم وأسرهم

اقتضت حكمة الله تعالى، ورحمته بعباده، أن يختار بمحض فضله وكرمه من يصطفيهم من خلقه، ممّن ميّزهم بخصائص لا يشاركهم فيها غيرهم، رسلًا في كلّ أمّة، ليبيّنوا للناس طرق الخير وسبل السعادة في الدّارين، فيدعونهم إلى عبادة الله وحده، ويحذرونهم من عبادة غيره، ويأمرونهم بمكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، وينهونهم عن قبيحها.

المطلب الأوّل: حوار بين نوح عليه السلام وقومه

أخبرنا الله تعالى أنه بعث نوحًا عليه السلام رسولًا إلى قومه، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف، ٥٩]، فها هو نوح عليه السلام يطلب من قومه عبادة الله تعالى وحده، ولا يدّخر وسعًا في سبيل دعوة قومه إلى عبادة الله تعالى دون سواه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود، ٢٥-٢٦].

«فقام نوح عليه السلام بواجبه في دعوة قومه إلى عبادة الله تعالى وحده، وبلّغهم الدّعوة كما أمره ربّه سبحانه، وقد سلك معهم في سبيل ذلك مختلف الأساليب والوسائل، بهدف إقناعهم والتّأثير فيهم ليتخلّوا عن باطلهم، ويتبعوا الحقّ ويتمسكوا به، فمن أسلوب التّرغيب، إلى أسلوب التّحبيب، إلى أسلوب التّرهيب، إلى أسلوب البرهان، إلى الدّعوة في كتمان ثمّ في إعلان، إلى الدّعوة في الليل، إلى الدّعوة في النّهار»[3].

فها هو يتحبّب إليهم بقوله: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف، ٥٩]، و«قوله «يا قوم» هو تقرّب منهم وتحبّب لهم، ليقبلوا دعوته، وفي قوله لهم «إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم»، إشعارهم برحمته لهم وشفقته عليهم، فمن أجل ذلك يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى وحده وعبادته وحده لا شريك له»[4]، وهو يرغّبهم بنيل الخير والبركة إن استجابوا لدعوته، قال

(١) المصدر نفسه، كتاب الرقاق، باب قول النّبي ﷺ: أنا سيّد النّاس، ج ٦، ص ٢٦٨٠. رقم الحديث ٧٥١٠.

(٢) المصدر نفسه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾، ج ٤، ص ١٧٢٣. رقم الحديث ٣٤٤٣.

(٣) انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتّاح، القصص القرآني «عرض وقائع وتحليل أحداث»، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٩ه/١٩٩٨م، ج ١، ص ١٦٧.

(٤) حبنكة، الميداني، عبد الرحمن حسن، نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠ه/١٩٩٠م، ص ٤٥.

تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح، ١٠-١٢]، أي «إذا تبتم إلى الله تعالى واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السّماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزّرع، وأدرّ لكم الضّرع، وأمدّكم بأموال وبنين، أي أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنّات فيها أنواع الثّمار، وخلّلها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقام الدّعوة والتّرغيب، ثمّ عدل بهم إلى دعوتهم بالتّرهيب»[1]، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف، ٦٤].

المطلب الثّاني: حوار بين هود عليه السلام وقومه

اختار الله تعالى نبيه هود عليه السلام ليكون أمين رسالته، وصاحب دعوته، لعلّه يهدي هذه العقول الضّالة، ويقوّم هذه النّفوس المعوجّة، فـ«دعا هود عليه السلام قومه إلى إفراد العبادة لله تعالى واتّباع أوامره سبحانه وتجنّب نواهيه، ثمّ حرص على التحبّب إليهم بأسلوب التّرهيب والتّرغيب، فقال: يا قوم، ما هذه الأحجار التي تنحتونها ثم تعبدونها وتلجؤون إليها؟ ما خطرها وما نفعها؟ وما ضررها وما غناؤها؟ إنّها لا تجلب لكم نفعًا، ولا تدفع عنكم شرًّا، إنّ هذا إلّا ازدراء لعقولكم، وامتهان لكرامتكم، ولكنّ هناك إلهًا واحدًا حقيقًا بأن تعبدوه، وربًّا جديرًا بأن تتوجّهوا إليه، وهو الذي خلقكم ورزقكم، وهو الذي أحياكم، وهو الذي يميتكم، مكّن لكم في الأرض، وأنبت الزّرع، وبسط لكم في الأجسام، وبارك لكم في الأنعام، فآمنوا به واحذروا أن تعموا عن الحقّ أو تكابروا فيه فيصيبكم ما أصاب قوم نوح عليه السلام، وما عهدهم منكم ببعيد»[2]، قال لهم ذلك وهو يرجو أن تصل كلماته إلى أعماق نفوسهم فيؤمنوا، قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود، ٥٢].

المطلب الثّالث: حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه

وقد سبق أنْ دعا إبراهيم عليه السلام أباه آزر إلى التّوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم، ٤٢].

وكانت المحطّة الثّانية لإبراهيم عليه السلام بعد دعوته لأبيه، هي انتقاله إلى قومه، ليدعوهم إلى التخلّي عن الكفر، وترك عبادة الأصنام، والإيمان بالله تعالى وحده.

بدأ عليه السلام «بمحاورة قومه عندما جنّ عليه اللّيل، وستره الظلام، فرأى كوكبًا ممّا يعبدون، وهو بين جماعة منهم يتحدثون ويسمرون، فقال: «هذا ربّي»!، طريق في الحوار حكيم،

(١) حوّى، سعيد، الأساس في التّفسير، ج ١١، ص ٦١٥٥.

(٢) انظر: المولى، محمد أحمد جاد وآخرون، قصص القرآن، دار الفكر، بيروت، لا ط، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٢٤.

ومنهج في الكلام قويم، انظر إليه يحاكيهم في اعتقادهم، ولا يعلن مخالفتهم، ولا يسفّه أحلامهم، فذلك أدعى إلى إنصاتهم لقوله، وتفهّمهم لحجّته، ثمّ لم يلبث أن كرّ على قولهم ينقضه، ورجع إلى مذهبهم يزيّفه. فلمّا أفل هذا الكوكب، تفقّده، فلم يجده، فقال: لا أحبّ الآلهة المتغيرين من حال إلى حال، ثمّ عرّض بآلهتهم وأعلن بغضه لها وتبرّأ من حبّها. ولمّا رأى القمر بازغًا، وهو أسطع نورًا من ذلك الكوكب، وأكبر منه حجمًا، وأكثر نفعًا، قال: «هذا ربّي»! استدراجًا لهم واستهواءً لقلوبهم، فلمّا أفل واختفى نوره، قال: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام، ٧٧]، تأكيدًا على أن الله تعالى مصدر الهداية، ومانح التوفيق عند الشكّ والحيرة. ثمّ رأى الشّمس بازغة يتألّق نورها، وينبعث شعاعها، وقد كست الدنيا جمالًا، وملأت الأرض حياةً وبهاءً، فقال: «هذا ربّي»! فلمّا أفلت مثل غيرها، وغابت عن عبّادها رماهم بالشّرك، ووسَمهم بالكفر، فقال: إني بريء ممّا تشركون، فهذه الكواكب تنتقل من مكان إلى مكان، وتتحوّل من حال إلى حال، لا بُدَّ لها من خالق يدبّرها ويحرّكها، فهي لا تستحقّ عبادةً، ولا تكريمًا، ولا تعظيمًا»[1].

والمتأمّل في هذه الحالات الثلاث، يرى أنّ إبراهيم عليه السلام سلك مع قومه أحكم الطّرق في الاستدلال على وحدانية الله تعالى، فقد ترقّى معهم وهو يأخذ بيدهم إلى النتيجة التي يريدها بأسلوب يقنع العقول السليمة، ثمّ ختم هذا الترقّي في الاستدلال على وحدانيته سبحانه بقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام، ٨٩].

المطلب الرّابع: حوار شُعيب عليه السلام مع قومه

كان موضوع الحوار بين نبيّ الله تعالى شُعيب عليه السلام مع قومه هو «الإصلاح، وهو محاورة تختلف عن محاورة نوح عليه السلام مع قومه، فمحاورة نوح عليه السلام منصبّة كلّها على العقيدة؛ لأنّه إذا نجح في إقناع محاوريه بوحدانيّة الله تعالى، فتغيير السّلوك سيأتي بطبيعة الحال تبعًا لذلك؛ حيث إنّ المؤمن سيبحث من تلقاء نفسه عمّا يرضي ربّه سبحانه من السلوك، وأمّا محاورة شُعيب عليه السلام، فقد كانت شاملة للعقيدة والسّلوك؛ لأنّه يرى أنّ الموضوع متكامل لا داعي لتجزئته، وربّما كان لاختلاف نوعية المحاورين أثر في ذلك، فإنّ انحرافات السّلوك وظهور المساوئ في سلوك العامّة، وهم محاورو شُعيب عليه السلام أوضح منه في سلوك السّادة وهم محاورو نوح عليه السلام، فإنّ السّادة أقرب إلى تجنّب مساوئ السّلوك إلى إخفائها، وإذا لم يكن ذلك حبًّا في الاعتدال، فللمحافظة على السّيادة، وبناءً على ذلك يكون أوضح مساوئ محاوري نوح عليه السلام العقيدة، فركّز المحاورة عليها، أمّا محاورو شُعيب عليه السلام فكانت مساوئهم شديدة الوضوح في العقيدة والسّلوك معًا»[2].

(١) انظر: المرجع نفسه، ص ٥٠-٥٢.

(٢) حفني، عبد الحليم، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الـ ـئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، ١٩٨٥م، ص ٨٨.

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ [1] أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦﴾ [هود، ٨٤-٨٦]، فها هو شُعيب عليه السلام يحاورهم قائلًا: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، أي: «اعبدوا الحقّ سبحانه وتعالى، والعبادة هنا بالمفهوم العام: اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظّاهرة، فهي تتضمّن غاية الذلّ والخضوع لله سبحانه، بغاية المحبّة له. ولهذا، لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله تعالى أحبّ إلى العبد من كلّ شيء، وأن يكون الله سبحانه عنده أعظم من كلّ شيء، بل لا يستحق المحبّة والذل التّام إلّا الله تعالى»[2]، وقد «جرت سنّة الأنبياء عليهم السّلام أن يبدؤوا بالدّعوة إلى التوحيد، ثمّ يتبعونه بالأهم فيما يرون لدى أقوامهم»[3].

وبعد أن ابتدأ شُعيب عليه السلام حواره مع قومه بالأمر بالتوحيد، أعقبه بالنّهي عن مظلمة كانت متفشّية فيهم، وهي خيانة المكيال والميزان، فقال لهم: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود، ٨٤]، أي: «لا ترتكبوا ما أنتم عليه وتستمروا فيه، فيمحق الله تعالى بركة ما في أيديكم، ويفقركم ويذهب ما به يغنيكم. فنهاهم أوّلًا عن تعاطي ما لا يليق من التّطفيف، وحذّرهم سلب نعمة الله سبحانه عليهم في دنياهم، وعذابه الأليم في أخراهم، وعنّفهم أشدّ تعنيف»[4].

ثمّ واصل عليه السلام حواره مع قومه قائلًا: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٨٥ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ٨٦﴾ [هود، ٨٥-٨٦]، «فنهاهم أوّلًا عن نقص الميكال والميزان إذا أعطوا النّاس، ثمّ أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين، ونهاهم عن العثوّ في الأرض بالفساد وقد كانوا يقطعون الطّريق، وأرشدهم إلى أنّ ما يبقيه الله تعالى لهم من مالٍ حلال خير من أخذ أموال الناس»[5]، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾، «بمراقب لكم حين تبيعون وتشترون، ولا بحاسب محصي عليكم ظلمكم فأجازيكم به، وإنّما أنا واعظٌ لكم

(١) مدين: مكان على بحر القلزم محاذ لتبوك، قيل: هي اسم لقبيلة. انظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لا ط، ١٤٠٤ه/١٩٨٤م، ج٥، ص ٧٧.

(٢) ابن تيمية، تقي الدين، العبودية في الإسلام، تفسير قوله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، المطبعة السّلفية، القاهرة، ط ٣، ١٣٩٨ه، ص ٤-٦.

(٣) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٥، ١٣٩٤ه/١٩٧٤م، ج ١٠، ص ٦٩.

(٤) ابن كثير، قصص الأنبياء، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م، ص ٢٤٥.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٤٥٧.

ناصح ليس غير»[1].

أرشد شُعيب عليه السلام قومه إلى «ما يصلحهم في عقائدهم ومعاملاتهم، وفي صلاتهم بعضهم ببعض، وفي سلوكهم الشخصي، بأسلوب حكيم جامع لكلّ ما يسعد ويهدي إلى الحقّ»[2]، و«سلك في نهيهم عن الفساد مسلك التدرّج، فابتدأه بنهيهم عن نوع من الفساد فاش فيهم وهو التّطفيف، ثمّ ارتقى فنهاهم عن الجنس الأعلى للفساد الشامل لجميع أنواع المفاسد، وهو الإفساد في الأرض، وهذا من أساليب الحكمة في تهيئة النفوس بقبول الإرشاد والكمال. وإذا كانت غايتهم من الإفساد اجتلاب ما فيه من نفع عاجل لهم، فقد أعقب شُعيب عليه السلام موعظته بما ادّخره الله تعالى من الثّواب على امتثال أمره، وهو النّفع الباقي هو خير ممّا يقترفونه من المتاع العاجل»[3].

المبحث السّادس: حوار المؤمنين مع المشركين في الدنيا ويوم القيامة

المطلب الأوّل: حوار صاحب الجنّتين في سورة الكهف (حوار مؤمن مع مشرك في الدّنيا)

إنّها قصّة «الرّجل الكافر صاحب الجنّتين، الذي بطر بسبب النّعمة، وأنكر لقاء الله تعالى، فعاش لدنياه وشهواته فحسب، وقصّة الرّجل المؤمن الصّابر، الذي أنفق ماله ابتغاء وجه الله سبحانه، وقدّم من العمل الصّالح لآخرته ما يقرّبه من ربّه عزّ وجلّ، وقد جمعت بينهما الأيام، بهذا المكان الذي جرى فيه ذلك الحديث، وتلك المحاورة التي قصّها علينا القرآن الكريم»[4].

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦﴾ [الكهف، ٣٢-٣٦].

بداية القصّة، «قصّة الكافر الثّري، صاحب الجنّتين والحديقتين الواسعتين، المحفوفتين بالنّخيل، وسائر أنواع الأعناب، وفيهما الثمار الزاهية، والأنهار الجارية، والفواكه المتنوّعة، وقد أغدق الله تعالى عليه العطاء، وأفاض عليه النّعمة، فبدل أن يشكر ربّه سبحانه على إنعامه وإفضاله، جحد وكفر، واستكبر على عبادة خالقه، وأنكر الآخرة، وأخذ يجادل صديقه المؤمن بأسلوب فيه الزّهو والافتخار، والتعالي والاستكبار، وهكذا شأن عبيد الدّنيا، يخدعون بأموالهم،

(١) الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، راسم للدعاية والإعلان، جدّة، ط ٢، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٢) طنطاوي، محمد سيد، أدب الحوار في الإسلام، دار نهضة مصر، القاهرة، لا ط، ١٤١٧ه/١٩٩٦م، ص ١٦٠.

(٣) ابن عاشور، محمد الطّاهر، التّحرير والتّنوير، دار سحنون، تونس، لا ط، لا ت، ج ٦، ص ١٣٨-١٣٩.

(٤) الصّابوني، محمد علي، قيس من نور القرآن الكريم، دار السّلام، القاهرة، ط ١، ١٤١٨ه/١٩٩٧م، ج ٧، ص ٢٩.

وتفتنهم الحياة ببهجتها وزينتها، ثمّ تكون النتيجة الهلاك والدّمار»[1].

فبدأت عند هذا الإنسان، مرحلة التّمرّد والطّغيان التي تكون بدايتها الإحساس العميق بالأفضلية والتعالي على الآخرين؛ حيث التفت هذا الكافر وهو بهذه الحالة إلى صاحبه: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، قال له: أنا أملك قوّة إنسانية كبيرة وعندي مال وثروة وجاه، وأنا أملك أيضًا نفوذًا وموقعًا اجتماعيًّا وأنصارًا وحشمًا، أمّا أنت، فماذا تستطيع أن تقول، وهل لديك كلام معقول!!؟

وتضخّم هذا الإحساس ونما تدريجيًّا، «ووصل صاحب البستان إلى حالة بدأ يظنّ معها أنّ هذه الثورة، المال والجاه والنّفوذ، إنّما هي أمور أبديّة، فدخل بغرور إلى بستانه، ونظر إلى أشجاره الخضراء، وسمع صوت الماء الذي يجري في النهر القريب من البستان، والذي كان يسقي أشجاره، وقال: لا يمكن أن تهلك هذه الجنة أو تفنى، لاعتقاده أبدية الدّهر، وأنّه لا كون سوى ما تقع عليه مشاعره، بل عمد إلى ما هو أكثر من هذا فقال: «وما أظنّ السّاعة قائمة»، أي: كائنة آتية، وأقسم على أنّه إن ردّ إلى ربّه سبحانه، على سبيل الفرض والتقدير، كما يزعم صاحبه، ليجدنّ في الآخرة خيرًا من جنّته في الدّنيا، تطمعًا وتمنيًا على الله تعالى، وادّعاءً لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنّه ما أولاه الجنّتين إلّا لاستحقاقه واستئهاله، وأنّ معه هذا الاستحقاق أينما توجّه»[2].

فيقبل عليه شريكه المؤمن، ناصحًا ومذكّرًا، وداعيًا له إلى الإيمان، على ما أعطاه الله تعالى من الفضل والإحسان، ويحاوره ويجادله بالحكمة والموعظة الحسنة، فيبيّن له أنّ الله تعالى لما قدرَ على الابتداء وجب أن يقدرَ على الإعادة، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف، ٣٧-٣٨]، ففي هاتين الآيتين «إشارة إلى خلق الإنسان في الابتداء، وفيهما أيضًا: أنّه لما خلقك هكذا فلم يخلقك عبثًا، وإنّما خلقك للعبودية وإذا خلقك لهذا المعنى، وجب أن يحصل للمطيع ثواب وللمذنب عقاب، ثمّ قال المؤمن: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾، أي: «إنّي لا أرى الفقر والغنى إلّا منه تعالى فأحمده إذا أعطى، وأصبر إذا ابتلى، ولا أتكبّر عندما ينعم عليّ، ولا أرى كثرة المال والأعوان من نفسي، وذلك لأنّ الكافر لمّا اعتزّ بكثرة المال والجاه، فكأنّه أثبت لله سبحانه شريكًا في إعطاء العزّ والغنى. ومع أنّ ذلك الكافر منكرًا للبعث، كان عابد صنم، فبيّن هذا المؤمن فساد قوله بإثبات الشركاء»[3].

وواصل المؤمن محاورته للكافر، ثمّ نصحه قائلًا: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ

(١) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٩-٣٠.

(٢) انظر: القاسمي، تفسير القاسمي، ج ١١، ص ٤٢.

(٣) الرّازي، محمد بن عمر، التّفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، لا ط، ١٣٩٨ه/١٩٧٨م، ج ٢١، ص ١٢٦.

عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾﴾ [الكهف، ٣٩-٤١]، وهنا «يوضح المؤمن للكافر أنّ الأشياء مقدّرة بمشيئة الله تعالى إنْ شاء أفقر، وإنْ شاء أغنى، وإنْ شاء نصر، وإنْ شاء خذل»[١]. ثمّ «تمنّى الرّجل المؤمن أن تذهب أشجار صاحبه ونباته، ويبقى له أرض ذهبت منافعها، حتى منفعة المشي فيها فهي وحل لا تنبت ولا تثبت فيه قدم، وأن يصبح ماؤها ذاهبًا في الأرض لا يستطاع تناوله»[٢].

وينتهي الحوار هنا، وتطالعنا السّورة الكريمة بالمفاجأة المدهشة، فيتحقّق رجاء المؤمن، بزوال النّعيم عن ذلك الكافر المتغطرس، وفجأة ينقلنا السّياق من منظر البهجة والازدهار، إلى مشهد البوار والدمار، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف، ٤٢-٤٣]، أي: «أهلك الله تعالى أمواله المعهودة من جنتيه وما فيهما، فأصبح يقلّب كفيه ظهرًا لبطن ندمًا على ما أنفق في عمارتها من المال، وأصبحت الجنّة من الأعناب المحفوفة بنخل ساقطة على دعائمها المصنوعة للكروم، وتذكّر حينئذٍ موعظة أخيه، وتمنّى لو لم يكن مشركًا، فلم يصبه ما أصابه»[٣].

المطلب الثّاني: حوار السّادة والأتباع الذين أضلّوهم (يوم القيامة)

إنّ «التّبعيّة قضية خطيرة، ومسألة حياتية مهمّة، من أهم وأخطر القضايا التي يعيشها الناس دائمًا، ويتفاعلون معها، سلبًا أو إيجابًا، لا تنفكّ عنهم، ولا تنفصل عن حياتهم، مهما كان مستواهم الحضاري، في أيّ زمانٍ أو مكان، ولها أثر ونتائج، على المستوى الفردي والجماعي، والسياسي والاقتصادي، والأخلاقي والمحلي والدولي، والحضاري والمستقبلي»[٤].

والذي نريد أن نلقي الضّوء عليه هنا، هي تلك الآيات القرآنيّة التي تعالج الحوار الذي يدور بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة.

أوّلًا: الحوار بين الأتباع والمتبوعين

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٦، ص ١٢٢-١٢٣.

(٢) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ./١٩٩٣م، ج ٣، ص ٥١٨.

(٣) انظر: أبو السّعود، محمد بن مصطفى، تفسير أبي السّعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر، بيروت، لا ط، ١٤٠١هـ./١٩٨١م، ج ٣، ص ٥٢٣-٥٢٤.

(٤) انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتّاح، الأتباع والمتبوعون في القرآن، دار المنار، عمّا، ط ١، ١٤١٧هـ./١٩٩٦م، ص ١١-١٢-١٤.

بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة، ١٦٥-١٦٧].

تتحدث الآيات عن أناس عبدوا غير الله سبحانه، فاتخذوا أندادًا له، يلتمسون منهم الخير، ويتأمّلون منهم دفع الشّرّ، وهؤلاء هم المشركون، وهذه حالهم مع آلهتهم في الدنيا، ومصيرهم في الآخرة.

«اتخذ هؤلاء المشركون أندادًا وأمثالًا لله تعالى وهم رؤساؤهم، أو أوثانهم وأصنامهم، يعظّمونهم ويحبّونهم ويطيعونهم ويعبدونهم كتعظيم الله سبحانه وحبّه وطاعته وعبادته، ويتقرّبون إليهم كتقرّبهم لله تعالى، ويلتجؤون إليهم عند الحاجة كالتجائهم إلى الله تعالى؛ ولكنهم في هذا كلّه مضطربون حيارى؛ حيث يلجؤون إلى بشر أو صنم أو حيوان، ولا يتحقّق لهم مأرب! وأنّهم مع عجز الأصنام يحبونهم كحبّ المؤمنين لله تعالى مع قدرته سبحانه»[١].

وعندما تتّضح الصّورة يوم القيامة للأتباع والمتبوعين، وتنكشف الأمور عن حقائقها، ويقفون جميعًا عاجزين أمام عذاب الله تعالى، يبدأ بينهم حوار فيه تلاوم وتبرّؤ وحسرة وندم، يقوم المتبوعون بالبراءة من أتباعهم ويفاصلونهم، ويقطعون علاقتهم بهم ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾، أي: «حين صار الأتباع بحاجة إلى المتبوعين تبرّأ المتبوعون منهم وتخلّوا عنهم»[٢].

«والله عزّ وجلّ يُري الكافرين أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم، لِمَ عملوا بها؟ وهلّا عملوا بغيرها؟ فندموا على ما فرّط منهم من أعمالهم الرديئة عندما رأوا العقاب عليها، ومصيرهم النّار مخلّدون فيها، بسب كفرهم، وندمهم وحسرتهم لا ينجّيهم من الخلود في النّار»[٣].

ثانيًا: حوار وتخاصم أهل النّار

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف، ٣٧].

نحن هنا أمام مشهد هؤلاء الذين افتروا على الله تعالى كذبًا أو كذّبوا بآياته، وقد جاءتهم رسل ربّهم من الملائكة يتوفونهم، ويقبضون أرواحهم، فدار بين هؤلاء وهؤلاء هذا الحوار: «قالوا: أين ما كنتم تدعون من دون الله؟ أين دعاويكم التي افتريتم على الله؟ وأين آلهتكم التي توليتم في الدنيا، وفتنتم بها عمّا جاءكم من الله على لسان الرّسل عليهم السّلام؟ أين هي الآن في اللحظة الحاسمة التي تُسلب منكم فيها الحياة، فلا تجدون لكم عاصمًا من الموت يؤخركم ساعة عن

(١) الزحيلي، وهبة، التّفسير المنير في العقيدة والشّريعة والمنهج، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١١ه/١٩٩١م، ج ٢، ص ٦٧.
(٢) انظر: أبو حيّان، البحر المحيط، ج ١، ص ٤٧٣.
(٣) الطبري، تفسير الطبري، ج ١، ص ٥١٩-٥٢٠.

الميقـات الذي أجّله الله؟ ويكـون الجواب هو الجواب الوحيد، الذي لا مفـرّ منه، ولا مغالطة فيه: «قالـوا ضـلّوا عنّا» غابوا عنّا وتاهـوا! فلا نحن نعرف لهم مقرًّا، ولا هم يسـلكون إلينا طريقًا! فما أضـيع عبادًا لا تهتدي إليهم آلهتهم، ولا تسـعفهم في مثل هذه اللحظة الحاسمة! وما أخيب آلهة لا تهتدي إلى عبّادها في مثل هذا الأوان! وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين»[1].

نستوحي من هذا الحوار، التأكيد على رفض التبعية في العقيدة وفي الممارسة وفي الموقف، وضـرورة الاستقلال الذاتي في تحصـيل القناعة، بما تعتقده النّفس، وما تمارسه، وما تتخذه من مواقف.

ويُسـتفاد من هذا النّموذج الحواريّ جملة من القيـم التّربويّة والدّعويّة، من أبرزها: اعتماد الحكمـة في الخطاب، واحترام المخاطَب، وترسـيخ مبدأ الإقناع العقلـيّ، ورفض التّبعيّة العمياء، وتعزيز المسؤوليّة الفرديّة.

ثالثًا: حوار بين الضّعفاء والمستكبرين

قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم، ٢١].

مشـهد مؤثّر، يصـوّر الأتباع والمتبوعين يوم القيامة، يرينا الأتباع الضّـعفاء، وهم يذوبون حسرةً وندمًا، ويرينا المتبوعين المستكبرين وهم يتبرؤون من أتباعهم.

«وينطلق سـؤالهم بلهجة متوسّلة يائسـة، تحمل الكثير من خيبة الأمل وعدم الثقة بالنتيجة، كما توحي هذه العبارة ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَـيْءٍ﴾؟ وتجسّـد الصورة القرآنيـة موقـف الخوف لأولئك المسـتكبرين، باعتبار الموقف يائسًـا للطرفيـن، فهم لا يملكون لأنفسـهم شـيئًا، فكيف يملكـون لهم الحمايـة؟ فليس في الموقف متّسـع للحسـاب، وليس هناك مجال للهروب، بل هو الاستسـلام اليائس للمصـير، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾، وقد نفهم من الجواب هروبًا من طبيعة المسؤولية، فهم لا يعتبرون أنفسهم مسؤولين عن ضـلالتهم؛ لأنّ الهداية من الله تعالى، فإذا لم يوفّر الله تعالى لهم الهداية، فكيف يمكنهم أن يحقّقوا أنفسـهم الهداية لغيرهم، ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾، وهذا غاية اليأس في الموقف. وهكـذا يريـد الله تعالى أن يجسّـد للمستضـعفين في الدّنيا، مواقـف الندم واليأس في الآخرة، ليواجهوا واقعهم الحالي، مواجهة الإنسان الذي يشعر بأنّه يواجه نتائج مسؤوليته وحده، ولذا فإنّ عليه أن يبدأ الحساب على هذا الأساس»[2].

(١) قطب، سيّد، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ٥١٤-٥١٥.

(٢) قطب، سيّد، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ٣٥٤.

رابعًا: حوار الخير والشّر في قتل النفس

قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۖ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة، ٢٧-٣١].

في هذه الآية الكريمة «يأمر الله تعالى نبيّه محمدًا ﷺ أن يتلو على بني إسرائيل خبر ابني آدم عليه السلام، وكان هابيل صاحب غنم فنظر إلى خير كثير فتقرّب إلى الله تعالى، ونظر قابيل إلى شرّ قمحه فتقرّب به إلى الله تعالى، فقبل الله تعالى قربان هابيل، ولم يقبل قربان قابيل، فحسد قابيل هابيل وهمّ بقتله؛ لكنّ هابيل قال لأخيه: لئن بدأتني بالقتل فما أنا بالذي أبدؤك بالقتل؛ لأنني أريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبّل قربانك. وشجَّعَته نفسُه على قتل أخيه، وزيّنت له القتل ففعل، فخسر الدنيا والآخرة، فبعث الله تعالى غرابًا يثير التّراب من الأرض ليعلّم قابيل كيف يستر جيفة أخيه، وهكذا شعر بالنّدم على فعلته النّكراء»[1].

إنّ هذه القصّة القصيرة التي رواها القرآن العظيم لنا، في إطار من الحوار، «تجسّد لنا الصّورة الحية لشخصية الإنسان الشّرير، مقابل شخصية الإنسان الصّالح، لتربطنا بفكرة الخير، وتبعدنا عن فكرة الشرّ، في موقف يوحي للنّاظر والمستمع بفظاعة موقف الشّرير إزاء روعة موقف الصّالح؛ حيث نرى الجريمة خالية من كلّ مبرّراتها التي تجعل منها عملًا عادلًا؛ لأنّها نشأت من حالة نفسيّة معقّدة بالحسد. فليس للضّحية فيها أي ذنب، ولعلّ قيمة هذه القصّة، تتمثّل فيما تخلّفه في نفس القارئ أو المستمع من تأثير نفسي ضدّ الجريمة والمجرم، وتعاطف روحي مع الضحية، ممّا يترك آثاره على السّلوك الإنساني العام»[2].

المبحث السّابع: حوار النّاس مع أعضائهم

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ

(١) انظر: النيسابوري، علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ه/١٩٩٤م، ج ٢، ص ١٧٦-١٧٨.

(٢) فضل الله، محمد حسين، الحوار في القرآن «قواعده، أساليبه، معطياته»، دار الملاك، بيروت، ط ٦، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٣٣٤.

لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾
[فُصِّلت، ٢٠-٢٣].

يعرض القرآن الكريم حوارًا فريدًا بين الإنسان وأعضائه يوم القيامة؛ حيث قال: «قال هؤلاء الذين يحشرون إلى النّار، من أعداء الله سبحانه، لجلودهم إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدّنيا يعملون: لمَ شهدتم علينا بما كنّا نعمل في الدّنيا؟ فأجابتهم جلودهم: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ فنطقنا، وذكر أنّ هذه الجوارح تشهد على أهلها، عند استشهاد الله تعالى إيّاها عليهم، إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدّنيا، بما سخط الله سبحانه»[1].

ورُوي عن رسول الله ﷺ أنّه: «ضحك ذات يوم حتّى بدت نواجذه، ثمّ قال: «ألا تَسْأَلُونِي ممَّ ضَحِكْتُ؟» قالوا: ممّ ضحكتَ يا رسول الله؟ قال: «عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَة العَبْد رَبَّهُ يَوْمَ القِيَامَة! قال: يقُولُ: يا رَبّ أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تَظْلِمَنِي؟ قالَ: فإنَّ لكَ ذلكَ، قال: فإنّي لا أَقْبَلُ عليَّ شاهِدًا إلا مِنْ نَفْسِي، قالَ: أَوَلَيْس كفَى بي شَهيدًا، وَبالمَلائكَة الكرَام الكاتبين؟ قالَ فَيُخْتمُ عَلى فِيه، وَتَتَكَلَّمُ أَرْكانُهُ بِمَا كانَ يَعْمَلُ، قالَ: فَيَقُولُ لَهُنَّ: بُعْدًا لَكُنَّ وسُحْقاً، عَنْكُنَّ كُنْتُ أُجادِلُ»[2].

الخاتمة:

وفي الختام، توصّل البحث إلى النّتائج الآتية:

أنّ الحوار هو نوع من الحديث بين شخصين أو أكثر، يتمّ فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبُعد عن الخصومة.

اهتمّ القرآن الكريم اهتمامًا بالغًا بالحوار، وحرص على استخلاصه من الشّوائب.

هدف القرآن الكريم من الحوار إلى استهداف الحقائق، وإقامة البراهين والحجج الدّالة على الإيمان.

شمل الحوار في القرآن الكريم أقوم الطّرق وأفضل المناهج.

أنّ الحوار القرآني يربّي العقل على سعة الأفق، وحبّ الاطلاع، والاستدلال لمعرفة الحقّ.

أنّ الحوار القرآني يدل على أنّ الأنبياء عليهم السّلام جاؤوا بكلمة واحدة، هي: لا إله إلّا الله، وقصّة واحدة، وهي: عبادة الله تعالى وحده.

وقد أوصى البحث بما يلي:

ضرورة توفّر الحريّة الفكرية عند إجراء الحوار، فإذا أردنا أن ينتهي الحوار إلى نتيجة

(١) الطبري، تفسير الطبري، ج ٢١، ص ٣٨٦.

(٢) ابن الحجّاج، مسلم، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، لا ط، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م، كتاب الزّهد والرّقائق، (٢٩٦٩)، ج ١، ص ٢٢٨١؛ النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصّحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤١١ه/١٩٩٠م، ج ٥، ص ٨٢٥.

منطقيّة، فلا بُدَّ من حريّة الحركة الفكرية، وتجنّب هيمنة الهزيمة النفسية.

لا يمكن للحوار أن ينجح إن لم يحرّر محلّ النزاع والبحث، فلا بُدَّ من تحديد معاني الألفاظ والقضايا التي يجري النقاش حولها، ليسهل الوصول إلى النّتائج.

التّجرد في الحوار وإخلاص النّية لله تعالى أساس مهمّ للمحاور المسلم، حتى ينال رضا الله سبحانه ويكسب الأجر والثّواب.

وختامًا أدعو إلى إقامة النّدوات والمؤتمرات العلمية لنشر وعي إسلامي حول أدب الحوار والخلاف وشروطه وضوابطه، كما أدعو كل داعية غيور إلى الإسهام بقلمه، أو بلسانه، لنشر ثقافة الحوار بين المسلمين أنفسهم، وبين المسلمين وغيرهم من أصحاب الدّيانات الأخرى، للعمل والتّعاون على القواسم المشتركة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

لائحة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ت، لا ط.

ابن تيمية، تقي الدين، العبودية في الإسلام، المطبعة السّلفية، القاهرة، ط ٣، ١٣٩٨هـ.

الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، راسم للدعاية والإعلان، جدّة، ط ٢، ١٤٠٧هـ./١٩٨٧م.

حبنكة، الميداني، عبد الرحمن حسن، نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ./١٩٩٠م.

ابن الحجّاج، مسلم، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، لا ط، ١٤٠٣هـ./١٩٨٣م.

حفني، عبد الحليم، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، ١٩٨٥م.

حوّى، سعيد، الأساس في التّفسير، دار السّلام، القاهرة، ط ١، ١٤٠٥هـ./١٩٨٥م.

أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العملية، بيروت، لا ط، ١٩٩٣م.

الخالدي، صلاح عبد الفتّاح، الأتباع والمتبوعون في القرآن، دار المنار، عمّان، ط ١، ١٤١٧هـ./١٩٩٦م.

الخالدي، صلاح عبد الفتّاح، القصص القرآني «عرض وقائع وتحليل أحداث»، دار القلم،

دمشق، ط ١، ١٤١٩هـ./١٩٩٨م.

الرّازي، محمد بن عمر، التّفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، لا ط، ١٣٩٨هـ./١٩٧٨م.

الزحيلي، وهبة، التّفسير المنير في العقيدة والشّريعة والمنهج، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ./١٩٩١م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، لا ط، ١٩٩٨.

السّعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، دار الرسالة، القاهرة، لا ط، ١٤٢٠هـ./٢٠٠٠م.

أبو السّعود، محمد بن مصطفى، تفسير أبي السّعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر، بيروت، لا ط، ١٤٠١هـ./١٩٨١م.

الصّابوني، محمد علي، قيس من نور القرآن الكريم، دار السّلام، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ./١٩٩٧م.

الصقهان، عبد الله عمر والشويعر، محمد بن عبد الله، قواعد ومبادئ الحوار الفعّال، مراجعة وتقديم د. فهد بن سلطان السلطان، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، المملكة العربية السّعودية، لا ت، لا ط.

الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ./٢٠٠١م.

الطرابيشي، جورج، معجم مصطلحات النقد الحديث، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٩٧.

طنطاوي، محمد سيد، أدب الحوار في الإسلام، دار نهضة مصر، القاهرة، لا ط، ١٤١٧هـ./١٩٩٦م.

ابن عاشور، محمد الطّاهر، التّحرير والتّنوير، دار سحنون، تونس، لا ط، لا ت.

ابن عبده، فيصل، فنّ الحوار أصوله وآدابه، صفات المحاور، دار الإيمان للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط ١، لا ت.

ابن عيطة، أبو محمد عبد الحق، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ./١٩٩٣م.

ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٨٩هـ./١٩٦٩م.

فضـل الله، محمد حسـين، الحوار في القرآن «قواعده، أسـاليبه، معطياتـه»، دار الملاك، بيروت، ط ٦، ١٤٢١هـ./٢٠٠١م.

القاسـمي، محمد جمال الدين، تفسير القاسمي «المسمى محاسن التّأويل»، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٣٨٥هـ./١٩٦٥م.

قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشّروق، القاهرة، ط٩، ١٤٠٠هـ./١٩٨٠م.

ابـن كثيـر، أبو الفداء عماد الدين إسـماعيل بن عمر، تفسـير القرآن العظيـم، دار الفكر، بيروت، ط ٤، ١٤٠١هـ./١٩٨١م.

ابن كثير، قصص الأنبياء، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ./١٩٨٣م.

المراغي، أحمد مصـطفى، تفسير المراغي، مكتبة مصـطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٥، ١٣٩٤هـ./١٩٧٤م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج٣، ١٤١٤ه.

المولى، محمد أحمد جاد وآخرون، قصص القرآن، دار الفكر، بيروت، لا ط، ١٣٨٩ه/١٩٦٩م.

النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصّحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ./١٩٩٠م.

النيسابوري، علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ./١٩٩٤م.

وجدي، محمد فريد، المصحف المفسّر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، لا ط، لا ت.

ياقـوت الحمـوي، أبـو عبـد الله بن عبـد الله، معجم البلـدان، دار صـادر، بيـروت، لا ط، ١٤٠٤هـ./١٩٨٤م.

يماس محمد راشد، فنون الحوار والإقناع، دار بن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ./١٩٩٩م.